كتاب الهُوَ

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بسم الله الرحمن الرحيم (*)

وبه ثقتي وعليه اعتمادي.

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في بيان قوله: (من عرف نفسه فقد عرف ربه)[1]، الحمد[2] لله الذي لم يكن قبل وحدانيته قبل الا والقبل هو، ولم يكن بعد فردانيته بعد الا والبعد هو، كان ولا بعد معه ولا قبل، ولا فوق ولا تحت، ولا قرب ولا بعد، ولا كيف ولا أين، ولا حين ولا أوان، ولا وقت ولا زمان، ولا كون ولا مكان، وهو الآن كما كان، هو الواحد بلا وحدانية، وهو

(*) نسب (حاجي خليفة) هذه الرسالة إلى (البلباني)، في كشف الظنون (/) بعنوان: (الرسالة البلبانية في الوحدة الوجودية)، وهو العنوان نفسه في نسخة (أ) المعتمدة في التحقيق، فيما عنونت النسخة (ب) — التي لم تنسب لأحد — بـ (رسالة في وحدة وجود الله سبحانه وتعالى). ومن تفحص هذين العنوانين يتضح أنهما صياغات متأخرة عن عصر (ابن عربي)، الذي لم يستخدم مصطلح (وحدة الوجود) كما هو معلوم. وبعد تفحصنا لفهرست مؤلفات (ابن عربي)، الذي ألّفه سنة ٦٣٢هـ، بتحقيق (كوركيس عواد)، تبين أن هناك كتاباً واحداً باسم (كتاب الهو)، وهو غير (كتاب الياء)، المطبوع على أنه (كتاب الهو) ضمن رسائل (ابن عربي)، طبعة حيدر آباد. وبرجوعنا إلى الفقرات العديدة من هذه الرسالة، التي أوردتها د. (سعاد الحكيم) في (المعجم الصوفي) — وهي من كبار دارسي (ابن عربي)، معتمدة على نسخة (رياض حمدان)، المحفوظة في مكتبته الخاصة بدمشق، والمنسوبة لـ (ابن عربي)، دون لبس تبين أن هذه الفقرات مطابقة تماماً لنسختينا المعتمدتين في التحقيق، الأمر الذي أكّد لنا صحة نسبة هذه الرسالة إلى (ابن عربي) لا سيما أن (د. سعاد الحكيم) لم تشر إلى عكس ذلك، وهي التي اطلعت على عدد كبير من آثار (ابن عربي) المخطوطة والمطبوعة، لإنجاز (المعجم الصوفي)، ولم تناقش نسبة هذه الرسالة. فضلاً عن ذلك أننا لم نجد بعد — فحصنا لأفكار هذه الرسالة — ما يعارض ما ذهبت إليه د. سعاد الحكيم. وعليه أثبتنا العنوان الصحيح.

(١) ورد الحديث في كشف الخفاء، ٢٦٢/٢ برقم (٢٥٣٢).

(٢) بداية نسخة (ب).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفرد بلا فردانية،ليس مركباً من الاسم والمسمى، فإن اسمه هو، والمسمى هو، فلا اسم غيره، ولا مسمى غيره، فلهذا هو[1] الاسم والمسمى، هو الأول بلا أولية، وهو الآخر بلا آخرية، وهو الظاهر بلا ظاهرية، وهو الباطن بلا باطنية. أعني: أنه وجود حروف الأول، وهو وجود حروف الآخر، وهو وجود حروف الظاهر، وهو وجود حروف الباطن فلا أول ولا آخر، ولا ظاهر ولا باطن إلاّ هو، وجود حروف الباطن هو، وجود حروف الظاهر هو، وجود حروف الأول هو، وجود حروف الآخر هو، ولا ظاهر ولا باطن إلاّ هو، بلا صيران وجود[2] هذه الحروف وجوده، وصيران وجود هذه الأحرف هو. فافهم هذا لئلا تقع في غلط الحلولية.

لا هو في شيء، ولا شيء فيه، لا داخلاً ولا خارجاً، ينبغي أن تعرفه بهذه الصفة[3]، لا بالعلم ولا بالعقل، ولا بالفهم ولا بالوهم، ولا بالحس ولا بالعين الظاهرة، ولا بالعين[4] الباطنة ولا بالادراك، لا يراه إلاّ هو ولا يدركه إلاّ هو، و[5] لا يعلمه إلاّ هو، يرى نفسه بنفسه، ويعرف نفسه بنفسه، لا يراه أحد غيره، ولا يدركه أحد غيره[6]، حجابه وحدانيته لا يحجبه شيء غيره، حجابه وجوده، تستر وجوده بوحدانيته بلا كيف، لا يراه أحد غيره ولا يدركه غيره[7]، لا نبي مرسل ولا ولي كامل ولا ملك مقرب يعرفه، نبيه هو ورسوله هو، ورسالته هو وكلامه هو، أرسل نفسه بنفسه إلى نفسه ولا[8] واسطة ولا سبب غيره، ولا تفاوت بين المرسِل والمُرسَل، والمرسَل به والمرسل إليه، ووجود حرف اللّه[9] وجوده، لا غيره ولا فناه، ولا اسمه ولا مسماه، ولا وجوده بغيره، فلهذا قال النبي صلى اللّه عليه وسلم: (من عرف [١١ ظ] نفسه فقد عرف ربه)، وقال عليه الصلاة والسلام: (عرفت ربي بربي)[10] أشار عليه السلام

---

(١) (هو) حاشية.
(٢) (وجود) زيادة من (ب).
(٣) في (ب) (الصفات).
(٤) (الظاهرة ولا بالعين) زيادة من (ب).
(٥) (الواو) زيادة من (ب).
(٦) (ولا يدركه أحد غيره) زيادة من (ب).
(٧) (ولا يدركه أحد غيره) زيادة من (ب).
(٨) في (ب) بلا.
(٩) في (ب): (حروف النبي).
(١٠) لم نعثر عليه في مظان الحديث التي بين أيدينا.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بذلك أنك لست أنت أنت، بل أنت هو بلا أنت[1]، لا هو داخل فيك، ولا أنت داخل فيه، ولا هو خارج عنك، ولا أنت خارج عنه، ما أعني بذلك: أنك موجود وصفتك هكذا بلا غير له[2]، بل أعني به: أنك ما كنت قط ولا تكون، لا بنفسك ولا به، ولا فيه ولا معه ولا عنه ولا منه ولا له، ولا أنت فانٍ ولا موجود، أنت هو وهو أنت، بلا علة من هذه العلل. فإن عرفت وجودك بهذه الصفة، فقد عرفت اللّه، وإلاّ فلا. وأكثر العارفين أضافوا معرفة اللّه إلى فناء الوجود، وفناء الفناء، وذلك غلط محض[3] وسهو واضح، فإن معرفة اللّه تعالى لا تحتاج إلى فناء الوجود، ولا إلى فناء فنائه؛ لأن الأشياء لا وجود له، وما لا وجود له لا فناء له، فإن الفناء بعد إثبات الوجود. فإذا عرفت نفسك بلا وجود ولا فناء، فقد عرفت اللّه تعالى، وإلاّ فلا.

وفي إضافة معرفة اللّه تعالى إلى فناء الوجود، وإلى فناء فنائه إثبات للشرك[4]؛ لأنك إذا أضفت معرفة اللّه تعالى إلى فناء الوجود وفناء الفناء، كان الوجود لغير اللّه تعالى ونقيضه، وهذا شرك واضح؛ لأن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال: (من عرف نفسه، فقد عرف نفسه)، ولم يقل: من أفنى نفسه فقد عرف ربه، فإن إثبات[5] الغير يناقض فناءه، وما لا يجوز ثبوته لا يجوز فناءه، ووجودك لا شيء و [اللاشيء][6] لا يضاف إلى شيء لا فانٍ ولا غير فانٍ، ولا موجود ولا معدوم. أشار عليه السلام إلى أنك معدوم الآن، كما كنت معدوماً قبل التكوين، فالآن ـ لقوله عليه السلام: (كان اللّه ولا شيء معه...)[7] الحديث[8] ـ الأزل، والآن الأبد، والآن القدم. فاللّه هو وجود الأزل، ووجود الأبد، ووجود القدم بلا وجود الأزل والأبد والقدم، فإن لم يكن كذلك، ما كان وحده لا شريك له وواجب أن يكون وحده لا شريك له، كان شريكه هو الذي يكون وجوده[9] بذاته لا بوجود اللّه، فيكون إذاً رباً ثانياً، وذلك محال، فليس للّه شريك ولا ند ولا كفؤ ومن رأى شيئاً مع اللّه تعالى، أو من اللّه،

---

(١) في (ب): (أنك لست أنت هو، وهو أنت بلا أنت).

(٢) (بلا غير له) زيادة من (ب).

(٣) (محض) زيادة من (ب).

(٤) (إثبات للشرك) زيادة من (ب).

(٥) في (ب): (فناء).

(٦) في (أ): (الشيء) وفي (ب): (لا شيء) والصواب ما أثبتناه.

(٧) ورد الحديث بلفظ: «كان اللّه ولم يكن شيء قبله» صحيح البخاري: باب التوحيد، حديث رقم (٢٢)، ومسند (ابن حنبل)، المجلد الثاني، حديث رقم (٤٣١).

(٨) (لقوله عليه السلام: كان اللّه ولا شيء معه... الحديث) حاشية.

(٩) (أن يكون وحده لا شريك له، كان شريكه هو الذي يكون وجوده) زيادة من نسخة (ب).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أو في اللّه، وذلك الشيء يحتاج إلى اللّه [١٢و] بالربوبية، فقد جعل ذلك الشيء أيضاً شريكاً محتاجاً إلى اللّه بالربوبية، ومن جوَّز أن يكون مع اللّه شيء يقوم بنفسه أو يقوم به وهو فانٍ عن وجوده أو من فنائه، فهو بعد بعيد، ما شمّ رائحة معرفة النفس؛ لأن من جوَّز أن يكون موجود[١] سواه قائماً به وفيه، يصير فانياً، وفناؤه يصير فانياً في فنائه، فيتسلسل الفناء بالفناء، وهذا شرك بعد شرك، وليس معرفة للنفس؛ لأنه شرك لا عارف باللّه، ولا بنفسه.

فإن قال قائل: كيف السبيل إلى معرفة النفس ومعرفة اللّه؟

فالجواب: سبيل معرفتهما أن تعلم أن اللّه عزّ وجل كان ولم يكن معه شيء، وهو الآن كما كان. فإن قال قائل: أرى نفسي غير اللّه ولا أرى اللّه نفسي!

فالجواب: أراد النبي صلى اللّه عليه وسلم بالنفس: وجودك وحقيقتك، لا النفس المسماة باللوامة والأمارة المطمئنة، بل أشار بالنفس إلى ما سوى اللّه عزّ وجل جميعاً.

قال عليه السلام: (اللّهم أرني الأشياء كما هي عياناً)[٢] أشار بالأشياء إلى ما سوى اللّه تعالى. أي عرِّفني الذي سِواك، لأعلم وأعرف الأشياء، أي شيء هي؟ أهي أنت أم غيرك؟ أم هي قديم أو حادث؟ أو باقٍ أم فانٍ؟ فإن أراه اللّه ما سواه نفسه بلا وجود ما سواه من الأشياء، فرأى الأشياء كما هي، أعني: رأى الأشياء ذات اللّه تعالى بلا كيف، ولا أين ولا اسم. واسم[٣] الأشياء يقع على النفس وغيرها من الأشياء، فإن وجود النفس ووجود الأشياء سيان في الشيئية. فمتى عرف الأشياء، عرف النفس، ومتى عرف النفس، فقد عرف الرب؛ لأن الذي يظن أنه سوى اللّه، ليس هو سوى اللّه[٤]، بل عين اللّه سوى اللّه تعالى، ولكنك[٥] لا تعرفه وأنت تراه، ولا تعلم أنك تراه، ومتى كُشف لك هذا السر، علمت أنك لست ما سوى اللّه تعالى، وعلمت أنك كنت مقصودك ومطلوبك في طلبك ربك، وعرفت أنك لا تحتاج إلى الفناء ولا إلى فناء الفناء[٦]، وأنك لم تزل ولا تزال بلا حين ولا أوان، كما ذكرنا من قبل،

---

(١) في الأصل (موجوداً).

(٢) لم نعثر عليه في مظان الحديث التي بين أيدينا.

(٣) (اسم) حاشية.

(٤) (سوى اللّه) زيادة من (ب).

(٥) في الأصل (لكنه) والتصحيح من (ب).

(٦) (ولا إلى فناء الفناء) زيادة من (ب).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وترى جميع صفاتك صفاته، وظاهرك ظاهره، وباطنك باطنه، وأولك أوله، وآخرك آخره، بلا شك ولا ريب حين المعرفة، أما قبلها فلا ترى صفاتك صفاته، وذاتك ذاته بلا صيرورتك إياه، وصيرورته إياك لا بقليل ولا كثير، ﴿كُلُّ شَيْءٍ [١٢ظ] هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[١]، بالظاهر والباطن. يعني: لا موجود إلاّ هو، ولا وجود لغيره، فيحتاج إلى الهلاك ويبقى وجهه.

أعني: لا شيء موجود إلا وجهه، فكما أن من لم يعرف شيئاً، ثم عرفه، فأفنى وجوده بإفناء جهله، ما أفنى وجوده، بل أفنى جهله، ووجوده باقٍ بحاله من غير تبديل وجوده بوجود آخر، ولا ترك وجود المنكِر بوجود العارف ولا تداخل، بل ارتفع الجهل، فلا تظن أنك تحتاج إلى الفناء، فإن احتجت إلى الفناء، فأنت إذاً حجابه، والحجاب غير اللّه سبحانه، فيلزم من غلبة غيره عليه بالرفع عن رؤيته له. وهذا[٢] غلط وسهو، وقد ذكرنا من قبل أن وحدانيته حجابه وفردانيته لا غيره، ولهذا جاز للواصل إليه على الحقيقة[٣] أن يقول: «أنا الحق»[٤]، وأن يقول: «سبحاني»[٥]، وما وصل واصل إليه إلاّ ورأى صفاته صفات اللّه، وذاته ذات اللّه، بلا صيران[٦] صفاته وذاته، ولا داخلاً في اللّه ولا خارجاً منه قط، ولا إنه فانٍ في اللّه أو ولا باقٍ في اللّه، ويرى نفسه أنه لم يكن قط، ولا إنه كان، ثم فُني، فإنه لا نفس إلاّ نفسه، ولا وجود إلاّ وجوده، وإلى هذا أشار النبي صلى اللّه عليه وسلم بقوله: (لا تسبوا الدهر، فإن اللّه هو الدهر)[٧]، إشارة إلى أن وجود الدهر وجود اللّه تبارك وتعالى عن الشريك والند والكفؤ. وروي عن النبي صلى اللّه عليه وسلم أنه قال: [قال] تعالى: (يا عبدي! مرضت فلم تعدني، وسألتك فلم تعطني)[٨]، وإلى غير ذلك، إشارة إلى أن وجود السائل وجوده، ووجود المريض وجوده،

---

(١) سورة القصص، الآية ٨٨.

(٢) في الأصل (وهنا).

(٣) في الأصل (على الحقية).

(٤) إشارة إلى بيت (الحلاج):

(فأنا الحق حق للحق حق   لابس ذاته فما ثم فرق)

ديوان الحلاج، ٤٨، وانظر كذلك كتاب الطواسين: طاسين الأزل والالتباس.

(٥) إشارة إلى بيت (الحلاج):

(أنا أنت بلا شك   فسبحانك سبحاني)

ديوان الحلاج، ٥٨.

(٦) في (ب): (كون).

(٧) مسند أحمد بن حنبل: ٢٩٩/٥، ٢١١.

(٨) صحيح مسلم، بر ٤٣.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فمتى جاز أن يكون وجود السائل وجوده، ووجود المريض وجوده، جاز أن يكون وجودك وجوده، ووجود جميع الأشياء من المكونات ـ من الأعراض والجواهر ـ وجوده، ومتى ظهر سر ذرة من الذرات ظهر سر جميع المكونات الظاهرة والباطنة، ولا ترى الذرات سوى اللّه تعالى، بل وجود الذرات اسمها ومسماها، ووجودها كلها هو بلا شك ولا ريب، ولا ترى أن اللّه سبحانه خلق الأشياء قط، بل ترى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[1] من إظهار وجوده وإخفائه بلا كيفية؛ لأنه ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ [١٣و] بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[2]. ظهر بوحدانيته وبطن بفردانيته، وهو الأول بذاته وقيوميته، وهو الآخر بديموميته، وجود حروف الأول هو، ووجود حروف الآخر هو، ووجود حروف الظاهر هو، ووجود حروف الباطن هو، هو اسمه وهو مسماه، وكما يجب وجوده، يجب عدم ما سواه، فإن الذي يظن أنه سواه، ليس سواه[3]؛ لأنه منزّه عن أن يكون غيره، بل غيره هو، هو بلا غيرية الغير مع وجود في وجوده ظاهراً أو باطناً، ولمن اتصف بهذه الصفة أوصاف كثيرة لا حدّ ولا نهاية لها، فكما أن من مات بصورته، وانقطعت جميع أوصافه عنها المحمودة والمذمومة، كذلك من مات بالموتة المعنوية، ينقطع عن جميع أوصافه المحمودة والمذمومة، ويقوم اللّه تعالى مقامه في جميع الحالات، ويقوم مقام ذاته ذات اللّه تعالى، ومقام صفاته صفاتُ اللّه تعالى، ولذلك قال النبي صلى اللّه عليه وسلم: (موتوا قبل أن تموتوا)[4]، وقال صلى اللّه عليه وسلم: (لايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه وبصره ويده ورجله)[5] إلى آخره فأشار إلى أن من عرف نفسه، يرى جميع وجوده سبحانه وجودَه، ولا يرى تغيراً في ذاته ولا في صفاته، إذ لم يكن هو موجوداً بذاته، بل كان جاهلاً بمعرفة نفسه، فمتى عرفت نفسك، ارتفعت أنانيتك، وعرفت أنك لم تكن غير اللّه سبحانه، فإن كان لك وجود مستقل، لا تحتاج إلى الفناء ولا إلى معرفة النفس، فتكون رباً سواه، تعالى اللّه أن يوجد ربٌّ سواه، ففائدة معرفة النفس: أن تعلم وتتحقق أن وجودك ليس بموجود ولا معدوم، وأنك لست كائناً، ولا كنت ولا تكون قط، ويظهر بذلك معنى قوله «لا إله إلاّ اللّه» إذ لا إله غيره، ولا وجود لغيره، ولا غير موجود سواه، ولا إله إلاّ إياه. فإن قال قائل: عطلت ربوبيته؛ لأنه لم يزل رباً ولا مربوب، ولم يزل

---

(١) سورة الرحمن، الآية ٢٩.

(٢) سورة الحديد، الآية ٣.

(٣) (ليس سواه) حاشية.

(٤) سنن ابن ماجه، فتن ٢٤.

(٥) صحيح البخاري رقاق، ٣٨، مسند أحمد بن حنبل، ٢٥٦/٦.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خالقاً ولا مخلوق، وهو الآن كما كان، خالقيته وربوبيته لا تحتاج إلى مخلوق ومربوب، ولم يزل خالق عن خالقيته، ولا مخلوق عن مخلوقيته، بل للّه الحكمة البالغة فيفعل ما [١٣ظ] يشاء بقدرته، ويحكم ما يريد بحكمه، فهو قبل تكوين المكونات[١]، كان موصوفاً بجميع أوصافه، وهو الآن كما كان، فلا تفاوت بين الحدوث[٢] وبين القدم، فالحدوث مقتضى ظاهريته، والقدم مقتضى باطنيته، ظاهره باطنه، وباطنه ظاهره، أوله آخره، وآخره أوله، والجميع واحد، والواحد جميع، كانت صفته ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[٣]، وما كان معه شيء سواه، وهو الآن كما كان، ولا وجود سواه بالحقيقة، كما كان في الأزل وفي القدم ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، ولا يوم ولا شأن، كما لو لم يكن في القدم لا شأن ولا يوم، فوجود الموجودات وعدمها سيان، وإلاّ لزم طريان طرأ في وحدانيته، وذلك نقص، وجلّت وحدانيته عن ذلك. فمتى عرفت نفسك بهذه الصفة من غير إضافة ضد وند وكفؤ[٤] وشريك إلى اللّه تعالى، فقد عرفتها بالحقيقة. ولذلك قال صلى اللّه عليه وسلم: (من عرف نفسه فقد عرف ربه)، فإنه عليه الصلاة والسلام عَلِمَ ورأى أن لا شيء سواه، ثم أشار إلى [أن] معرفة النفس هي معرفة اللّه تعالى، أي اعرف نفسك، أي وجودك أنك لست أنت، ولكنك لا تعرف، أي اعرف أن وجودك ليس بوجودك، ولا غير وجودك، فلست بموجود ولا بمعدوم، ولا غير موجود ولا غير معدوم، وجودك وعدمك وجوده بلا وجود وعدم؛ لأن عين وجودك وعدمك وجوده؛ ولأن عين وجوده عين وجودك وعدمك، فإن رأيت الأشياء بلا رؤية شيء آخر مع اللّه وفي اللّه أنها هو، فقد عرفت نفسك، فإن معرفة النفس بهذه الصفة، هي معرفة اللّه بلا شك ولا ريب، ولا تركيب شيء من الحدوث مع القدم وفيه وبه. فإن سأل سائل: كيف السبيل[٥] إلى وصاله؟ فأنت تقول: لا غيرٌ سواه، والشيء الواحد لا يصل إلى نفسه.

فالجواب: لا يُشك أنه في الحقيقة لا وصل ولا فصل، ولا بعد ولا قرب، لأنه لا يمكن الوصال إلاّ بين الاثنين، فإن لم يكن إلاّ واحد[٦]، فلا وصل ولا فصل، فإن الواصل يحتاج إلى شيئين متساويين أو غير متساويين، فإن كانا متساويين فهما شيئان [١٤و]، وإن

---

(١) في (أ): (المكنونات) والتصحيح من (ب).
(٢) في (أ): (الحدث) والتصحيح من (ب).
(٣) سورة الرحمن، الآية ٢٩.
(٤) في الأصل (ضداً ونداً وكفؤاً).
(٥) (السبيل) حاشية.
(٦) في الأصل (واحداً).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كانا غير متساويين فهما ضدان، وهو تعالى منزّه عن أن يكون له ضد وند[1] وشبيه، فالوصال في غير الوصال، والقرب في غير القرب، والبعد في غير البعد، فيكون وصل بلا وصل، وقرب بلا قرب، وبعد بلا بعد.

فإن قيل: فهمنا الوصل بلا وصل، فما معنى القرب بلا قرب؟ والبعد بلا بعد؟ فالجواب أنك: في أول القرب والبعد لم تكن شيئاً سوى اللّه، ولكنك لم تكن عارفاً بنفسك، ولم تعلم أنك هو بلا أنت، فمتى وصلت إلى اللّه تعالى، أي عرفت نفسك بلا وجود حروف العرفان، علمت أنك كنت إياه، وما كنت تعرف قبل أنك هو، أو غير هو، فإذا حصل لك العرفان، علمت أنك عرفت اللّه باللّه لا بنفسك، مثال ذلك: هو أنك لا تعرف بأن اسمك (محمود)، ومسماك (محمود)، فإن الاسم والمسمى في الحقيقة واحد، وتظن أن اسمك (محمد)، وبعد حين عرفت أنك (محمود)، فوجودك بالقرار، واسم (محمود) ومسمى (محمد) ارتفع عنك بمعرفتك نفسك أنك (محمود)، ولم تكن (محموداً) إلاّ بفنائك لاسم (محمد)، وهي نفس وجودك؛ لأن الفناء يكون بعد إثبات وجودك، فإن إثباتك وجودك مع وجوده شرك باللّه سبحانه وتعالى، فما نقص بهذا المثال (لمحمود) شيء ولا (محمد) فُنِيَ في (محمود)، ولا دخل (محمود) في (محمد)، ولا خرج منه، فبعد ما عرف (محمود) نفسه أن (محمود) لا (محمد)، فقد عرف نفسه بنفسه لا (بمحمد)، فإن (محمداً) لم يكن أصلاً، بل هو (محمود) على أصله (كان اللّه ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان)، فإذا العارف والمعروف واحد، والواصل والموصول واحد، والرائي والمرئي واحد، والمحب والمحبوب واحد، والعارف صفته، والمعروف ذاته، والواصف[2] والموصوف ذاته، والصفة والموصوف واحد. هذا بيان (من عرف نفسه فقد عرف ربه)، فمن فهم هذا المثال، علم أنه لا وصل ولا فصل، وعلم أن العارف هو المعروف، والرائي هو المرئي، والواصل هو الموصول، وما وصل إليه غيره، وما انفصل عنه غيره، فمن فهم ذلك خلص عن الشرك، وإلاّ لا يجد رائحة الخلاص عن الشرك، وأكثر [١٤ظ] العارفين الذين ظنوا أنهم عرفوا أنفسهم وعرفوا ربهم[3]، وأنهم خلصوا من علقة الوجود، قالوا إن الطريق لا يتيسر إلاّ بالفناء وبفناء الفناء، وذلك لعدم فهمهم قول النبي صلى اللّه عليه وسلم، ولظنهم أنهم يمحون الشرك بإشاراتهم طوراً إلى نفي الوجود. أي فناء الوجود، وطوراً إلى فناء الفناء، وطوراً إلى محق المحق، وطوراً إلى الاصطلام، فهذه الإشارة كلها شرك

---

(١) في الأصل (ضداً ونداً).

(٢) في الأصل (الواصل) والصواب ما أثبتناه.

(٣) (عرفوا ربهم) حاشية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

محض، فإن من جوّز أن يكون شيء سواه، فيفنى بعد وجود فنائه، فقد أثبت شيئاً ما سواه، ومن أثبت شيئاً ما سواه، فقد أشرك بالله تعالى. أرشدهم الله وإيانا إلى سواء السبيل، بمنّه وكرمه ولاحول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

قلت:

ظننت ظنوناً بأنك أنتَ ... وما أن تكون ولا قطّ كنتَ[1]
فإن أنت أنت فإنك ربٌ ... وثاني اثنين دع ما ظننتَ
فلا فرق بين وجوديكما ... فما بان عنك ولا عنه بنتَ[2]
فإن قلت جهلاً بأنك غيرٌ ... خشنت وإن زال جهلك لنتَ
فوصلك هجر وهجرك وصل ... وبعدك قربٌ بهذا خَشُنتَ
دع العقل وافهم بنور انكشاف ... لئلا يفوتك ما عنه صنتَ
ولا تشرك مع اللّه شيئاً ... لئلا تهون وبالشرك هنتَ

فإن قال قائل: أنت تشير إلى أن عرفانك نفسك هو عرفان اللّه تعالى، والعارف بنفسه غير اللّه، وغير اللّه كيف يعرف اللّه؟ ومن لم يعرف اللّه[3] كيف يصل إليه؟ فالجواب: من عرف نفسه علم أن وجوده ليس بوجوده، ولا غير وجوده، بل وجوده وجود اللّه بلا صيرورة[4] وجوده وجود اللّه تعالى، وبلا دخول وجوده في وجود اللّه سبحانه، ولا خروج وجوده منه، ولا كون وجوده معه وفيه، بل يرى وجوده ـ لا محالة ـ كان قبل أن يكون بلا فناء الوجود، ولا فناء الفناء، فإن فناء الشيء يقتضي ثبوته أولاً، وثبوت الشيء بنفسه يقتضي كينونيته بنفسه، لا بقدرة اللّه تعالى، وهذا محال صريح واضح، فتبين أن عرفان [١٥و] العارف بنفسه هو عرفان اللّه نفسه، لأن نفسه[5] ليس إلاّ هو، وعنى[6] رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بالنفس الوجود، فمن وصل إلى هذا المقام لم يكن وجوده في الظاهر والباطن وجوده، بل وجود اللّه تعالى، وكلامه كلام اللّه، وفعله فعل اللّه، ودعواه معرفة اللّه، هو دعواه[7] معرفة نفسه، ودعواه معرفة

---

(١) من المنسرح.
(٢) في نسخة (ب) يأتي هذا البيت قبل البيت الثاني.
(٣) (من لم يعرف اللّه) زيادة من (ب).
(٤) في (ب): (صيران).
(٥) (لأن نفسه) حاشية.
(٦) في (أ): (عن) والتصحيح من (ب).
(٧) (هو دعواه) حاشية.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نفسه، هو دعواه معرفة اللّه، ولكنك تسمع الدعوى منه، وترى الفعل منه، وترى وجوده غير وجود[1] اللّه، كما ترى نفسك غير اللّه، لجهلك بمعرفة نفسك، فإن المؤمن مرآة المؤمن، فهو هو بعينه، أي بنظره، فإن عينه عين اللّه، أي نظره نظر اللّه بلا كيفية، لا هو هو بعينك وعلمك وفهمك أو وهمك أو ظنك أو رؤيتك، بل هو هو بعينه وعلمه ورؤيته.

فإن قال قائل: أنا اللّه، فاسمع منه لا من الغير، فإن اللّه جلت قدرته يقول لنفسه بنفسه ﴿أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾[2] ولكنك وصلت إليه، فإن وصلت إلى ما وصل إليه، فهمت ما يقول، وقلت ما يقول، ورأيت ما يرى. وعلى الجملة: وجود الأشياء وجوده بلا وجودهم، فلا تقعن في الشبهة، ولا تتوهمن بهذه الإشارات أن اللّه تعالى مخلوق، فإن بعض العارفين قال: «الصوفي غير مخلوق»[3]، وذلك بعد الكشف التام وزوال الشكوك والأوهام، وهذه اللقمة لمن كان له حلق أوسع من الكونين، فأما من كان حلقه كالكونين فلا توافقه، فإنها أعظم من الكونين. وعلى الجملة: فاعلم أن الرائي والمرئي، والواجد والموجود، العارف والمعروف، والموجِد والموجَد، والمدرِك والمدرَك واحد يرى وجوده بوجوده، ويدرك وجوده بوجوده، بلا كيفية إدراك ورؤية ومعرفة، وبلا وجود حروف صورة الإدراك والرؤية والمعرفة، فكما أن وجوده بلا كيفية، ومعرفة نفسه بلا كيفية، وإدراك نفسه بلا كيفية، ورؤيته نفسه بلا كيفية.

فإن سأل سائل وقال: بأي نظر[4] تنظر إلى المحبوبات والمكروهات [١٥ظ] فإذا رأينا مثلاً (روثاً) أو (جيفة) فتقول هو اللّه؟!! فالجواب: تعالى وتقدس أن يكون شيئاً من هذه الأشياء، وكلامنا مع من لا يرى الجيفة جيفة، والروث روثاً، بل كلامنا مع من له بصيرة، ليس بأكمه، فإن من لم يعرف نفسه، فهو أكمه وأعمى، وقبل ذهاب الأكمهية والعمى، لا يصل إلى هذه المعاني، وهذه المخاطبة مع اللّه، لا مع غيره، ولا مع الأكمه، فإن الواصل إلى هذا المقام يعلم أنه ليس غير اللّه، وخطابنا[5] مع من له عزيمة وهمة في طلب العرفان، وفي طلب النفس لمعرفة اللّه، وتطرأ في قلبه صورة الطالب[6] والاشتياق إلى اللّه تعالى مع من لا قصد ولا مقصد له.

---

(١) (وجود) زيادة من (ب).
(٢) سورة طه، الآية ١٤.
(٣) لم نعثر عليه في المظان التي بين أيدينا.
(٤) (نظر) حاشية.
(٥) في (ب) (وإشارتنا لمن).
(٦) في (أ): (صورة الطلب) والتصحيح من (ب).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فإن سأل سائل وقال: اللّه تعالى لا تدركه الأبصار وأنت تقول[1] بخلافه، فما حقيقة ما تقول؟

فالجواب عن ذلك: جميع ما قلنا هو معنى قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾[2] أي ليس أحد، ولا بصر معه يدركه، فلو جاز أن يكون في الوجود غيره، لجاز أن يدركه غيره. نبهنا اللّه تعالى بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ إلى[3] أنه ليس غيره[4] سواه، يعني: لا يدركه غيره، بل يدركه هو وهو اللّه فلا غير إلاّ هو، فهو المدرِك لذاته بذاته لا غير، فلا تدركه الأبصار، إذ لا أبصار إلاّ وجوده[5] ومَن قال: إنها لا تدركه الأبصار؛ لأنها محدثة، والمحدث لا يدرك القديم الباقي فهو بعد بعيد، لا يعرف[6] نفسه إذ لا شيء ولا أبصار إلاّ هو، فهو يدرك وجوده بلا وجود الإدراك، وبلا كيفية لا غيره[7] ولهذا قلت:

عرفت الرّبَ بالرّبِ ... بلا شكٍ ولا ريبِ[8]
فذاتي ذاتهُ حقاً ... بلا نقصٍ ولا عيبِ
ولا غيران[9] بينهما ... فنفسي مظهر الغيبِ
ومن عرّفته نفسي ... بلا مزجٍ ولا شَوبِ
وصلتُ وصول محبوبٍ ... بلا بعدٍ ولا قُربِ
ونلت عطاء ذي قدم[10] ... بلا منٍّ ولا سببِ [١٦و]
ولا فُنيت له نفسي ... ولا تبقى لذي ذوبِ
ولكن قد تعرت منك عن عبد وعن ربِ

---

(١) (تقول) حاشية.
(٢) سورة الأنعام، الآية ١٠٣.
(٣) في (أ) و(ب): (على) والصواب ما أثبتناه.
(٤) في (ب): (غير).
(٥) في (أ): (وجود) والتصحيح من (ب).
(٦) في (ب): (لم يدرك).
(٧) في (ب): (لا غير).
(٨) من مجزوء الهزج.
(٩) في (ب): (عيران).
(١٠) في (ب): (فيض).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فإن سأل سائل وقال: أنت تثبت اللّه تعالى، وتنفي كل شيء، فما هذه الأشياء التي نراها؟

فالجواب: هذه المقامات مع مَن لا يرى سوى اللّه شيئاً، ومَن يرى شيئاً سوى اللّه، فليس لنا معه جواب ولا سؤال، فإنه لا يرى غير ما يرى، ومَن عرف نفسه، لا يرى غير اللّه، ومن لم يعرفها، لا يرى اللّه سبحانه: وكل إناء بالذي فيه يرشح. فقد شرحنا كثيراً[1] مثل هذا الكلام من قبل، وإن شرحنا أكثر من ذلك[2]، فمن لا يرى، لا يرى ولا يفهم ولا يدرك، ومن يرى، يرى ويفهم ويدرك، والواصل تكفيه الإشارة، وغير الواصل لا يفهم لا بالتعليم، ولا بالتدبير[3]، ولا بالتقدير، ولا بالعبارة، ولا بالعقل، ولا[4] بالعلم، الذي هو تحصيل[5] الحاصل، إلاّ بخدمة شيخ كامل واصل، وأستاذ حاذق سالك فاضل ليهتدي بنوره، ويسلكه بهمته، ويصل به إلى مقصوده إن شاء اللّه تعالى، واللّه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. وفقنا اللّه وإياكم لما يحبه ويرضاه، إنه على كل شيء قدير، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم[6]. [١٦ظ].

---

(١) في (أ): (شرحنا شروحاً كثيراً) والتصحيح من (ب).

(٢) (شرحنا أكثر من ذلك) زيادة من (ب).

(٣) (ولا بالتدبير) زيادة من (ب).

(٤) (ولا) زيادة من (ب).

(٥) (الذي هو تحصيل) حاشية.

(٦) دوّن الناسخ تاريخ الفراغ من النسخ كما يلي: (تمت في ٢١ ربيع الأول سنة ١١٣٣هـ).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com